الكاتب وواقعه

ماريو بارجاس يوسا يكتب عن رواياته

□ أعلنت الأكاديمية السويدية فوز الكاتب البيروني ماريو بارجاس يوسا بجائزة نوبل للآداب للعام٢٠١٠ م، والكاتب بارجاس يوسا واحد من أبرز الروائيين المعاصرين في أمريكا اللاتينية، أو حسب ما كتب محرّر هذا الكتاب الذي نقوم بعرضه في هذا المقال، حيث كتب في مقدمته : «ينتمي ماريو بارجاس يوسا إلى هذه المجموعة المنتقاة ذات الموهبة العالية من الكتّاب المدعوة بجيل الازدهار، التي دفعت بأدب أمريكا اللاتينية إلى صدارة الأدب العالمي، فقد قام هذا الروائي البيروفي بصحبة خورخي لويس بورخيس وجابرييا جارسيا ماركيز وكارلوس فونيتوس، بتحرير الكتابة الأدبية الأمريكية اللاتينية من إقليميتها وتوجهها السوسيولوجي، وصنع منها أداة للتعبير عن قيم إنسانية عالمية من خلال سياق الخبرة الأمريكية».

وعلى خلاف الكثير من الأدباء الفائزين بجائزة نوبل، لم يكن اختيار يوسا للجائزة مفاجئاً، فهو مرشح لهذه الجائزة منذ سنوات عديدة، لدرجة أنه نسي هذا الموضوع، كما يقولون في إحدى المقابلات الأخيرة معه، كما أن يوسا كاتب معروف لدى المثقفين والأدباء العرب، وهو أمر يختلف في حالات كثيرة من حائزي نوبل، الذين تبدأ ترجمة أعمالهم بعد حصولهم على هذه الجائزة، وفي حالة ماريو بارجاس يوسا فإن غالبية أعماله تكاد تكون قد ترجمت إلى اللغة العربية، وهو كاتب معروف في الثقافة العربية، وله رواية بعنوان «اللص والكلاب»، وقد تم تحويلها إلى فيلم سينمائي، وهو يشبه في ذلك الكاتب العربي نجيب محفوظ، الحائز على جائزة نوبل للآداب، وله رواية بنفس الاسم وتحولت إلى فيلم سينمائي أيضاً.

هشام علي

والكاتب ماريو بارجاس يوسا قريب من الثقافة العربية ومن القضايا العربية كذلك، فله مواقف داعمة للشعب الفلسطيني في وجه العدوان والاحتلال الإسرائيلي، كما أنه قام بزيارة لمدينة بغداد بعد سقوطها بيد الاحتلال الأمريكي في العام٢٠٠٣ م، وكتب مقالات عن سقوط بغداد.

ولا يقتصر قرب يوسا من الثقافة العربية على هذه المناصرة للقضايا العربية وحسب، فما يتناوله في رواياته وأعماله الأدبية يتقاطع مع كثير من القضايا التي نعيشها في مجتمعاتنا العربية، وهي ظاهرة نلمسها، ليس في كتابات يوسا وحدها، ولكن في أدب أمريكا اللاتينية بشكل عام.

وهذا موضوع آخر يطول الحديث عنه، بيد أن ما يهمنا في هذا المقال مسألة أخرى تتعلق بالكاتب يوسا وعوالمه الروائية وارتباطها بالواقع، حسب ما صاغ هذه العلاقة الكاتب نفسه، وذلك في كتاب بعنوان «الكاتب وواقعه».

هذا الكتاب يفتح مجالات للتفكير والتأمل والنقاش، فالعلاقة بين الروائي وواقعه هي علاقة إشكالية، على الدوام، إذ أن طريقة التعبير عن هذا الواقع تقع دائماً في ذلك السؤال الحرج، هل يصور الروائي الواقع كما هو وينقله بكل تفاصيله؟ أم أن المخيلة الأدبية والأسطورية في حالة أمريكا اللاتينية، التي استطاع أدباؤها أن يضيفوا ما أطلق عليه الواقعية السحرية إلى الأدب العالمي، هذه المخيلة الأدبية والسحرية تتدخل لتصنع الرواية وتهبها علامة فارقة عن التاريخ أو عن التحقيق الصحفي والتصوير الفوتوغرافي للواقع.

ويطرح يوسا قضية أخرى، تضيف للرواية وللمخيلة السردية دوراً خاصاً في أمريكا اللاتينية، دوراً مؤسساً للواقع وللتاريخ، اللذين تم تدميرهما مع الغزو الإسباني لأمريكا قبل خمسة قرون، فقد كانت الحكايات الشعبية والأساطير والخرافات هي الميراث السردي والحكائي الوحيد الذي يستطيع أن ينهل من معينه الروائي في أمريكا اللاتينية، وهنا يفتح بارجاس قوساً ليتحدث عن ظاهرة تحرير قراءة الرواية في أمريكا اللاتينية، بأمر محاكم التفتيش الإسبانية، «حيث اعتبر القضاة هذا الجنس الأدبي، الرواية، خطيراً على الإيمان الروحي للهنود»، وقد شمل الحظر قراءة ونشر الروايات في المستعمرات.

ويذكر يوسا أن النُّسَخ الأولى من رواية دون كيشوت دخلت أمريكا مخبّأة في براميل النبيذ، كما أن تجربة قراءة رواية في ذكل الحين مغامرة خطيرة قد تعرّض صاحبها للسجن والاضطهاد.

ويعلّق يوسا على هذه المرحلة من تاريخ أمريكا اللاتينية، تاريخ الحياة بدون رواية، قائلاً : «وعلى الرغم من حظر الروايات ثلاثة قرون، فإن هدف محاكم التفتيش في مجتمع خالٍ من تأثير الخيال لم يتحقق، لأنهم لم يلاحظوا أن عالم الخيال الغني أكبر وأعمق من عالم الرواية، ولا أمكنهم تخيل أن الرغبة في الكذب من أجل الهروب من الواقع الموضوعي عبر الأوهام المتجذرة بقوة وعنف هكذا في الروح الإنسانية، لدرجة أنه أصبح من غير الممكن استخدام الرواية لإشباعها، استخدمت كل الأجناس والمجالات التي يمكن أن تنساب فيها الأفكار بسهولة كبديل، مثل : التاريخ، والدين، والشعر، والعلم، والفن، والخطب، والصحافة، وعادات الناس اليومية، وهكذا بقمع الجنس الأدبي المبتكر ورقابته خصوصياً، كي يمنح ضرورة الكذب مكانها المحفوظ حقق القضاة النقيض التام لنواياهم».

ويرى يوسا أن الناس في أمريكا اللاتينية ضحايا لما يسميه انتقام الرواية : «فلا زلنا نواجه صعوبة في التفرقة بين الواقع والخيال، فنحن معتادون، بحكم التقاليد، على مزجهما بهذه الطريقة، وربما يكون هذا هو السبيل في أننا غير عمليين وحمقى في الأمور السياسية على سبيل المثال».

يمكن أن نلاحظ، من خلال هذه التجربة التي تحدّث عنها ماريو بارجاس يوسا، هذه الكتابة الروائية التي انبثقت في زمن حظر الرواية وبأصول مستقلة عن الرواية الغربية، الأوروبية على نحو خاص، لم يسقط الأديب اللاتيني في شرك ثنائيات الأصالة والمعاصرة، الأسطورة والحداثة، الذات والآخر وغيرها من الثنائيات التي حاصرت أدبنا العربي طوال القرن الماضي.

أدب أمريكا اللاتينية استطاع أن ينحت، من تراثه الحكائي، من القصص والأساطير الشعبية المكوّنة لذاكرة الشعب ومخيلته، استطاع أن ينحت شكلاً روائياً متميزاً بخصوصيته وممتلكاً لهويته وتاريخه، حدث هذا دون أن يقع هذا الأديب في أسئلة الخصوصية والهوية، المنطلقة من أسس عصبية منغلقة، بل انطلاقاً من الآخر وثقافته التي اكتسحت بلدان أمريكا اللاتينية واخترقت ثقافاتها ولغاتها وأجناسها، وبدلاً من التيه في جدل الهوية والغزو التقط أدباء أمريكا اللاتينية ما هو باق ومستمر في تراثهم، وقاموا بإعادة نتاج ذلك التراث وأبدعوا ما أطلقوا عليه الواقعية السحرية في الرواية.

ويبحث يوسا العلاقة بين الكاتب وواقعه من زاوية أخرى، أو من خلال غشاوة الأيديولوجيا، أي الواقع منظور إليه بمنظار أيديولوجي، ويوسا كان ملتزماً بالفكر الماركسي في مرحلة من شبابه، كما ارتبط بفيديل كاسترو بصداقة وطيدة، وكان معجباً بالثورة الاشتراكية في كوبا وبأفكار المناضل أرنستو جيفارا، كذلك تعرّف يوسا على الفلسفة الوجودية التي كانت فلسفة رائجة في منتصف القرن الماضي، وقد أعجب بفكر جان بول سارتر وأدبه، ويقول يوسا إنه اكتشف الأدب الحديث بواسطة سارتر وعرف أهمية الشكل في الأدب، كما تعرّف على الأدب الملتزم الذي بشّر به سارتر في ذلك الحين.

وبسبب سارتر بدأ بارجاس يوسا الاختلاف مع الماركسية ومع الحزب الشيوعي الذي انتمى إليه : «إن أفكار سارتر عن الأدب والعلاقة بين الأدب والتاريخ كانت مقنعة جداً بالنسبة لي، لدرجة أنني لم أستطع قط أن أقبل العقيدة الرسمية للحزب، ففي الحقيقة لم أكن قط ماركسياً أرثوذكسياً».

ويذكر يوسا أن هذا الاتجاه الماركسي في فكره قد ظهر في روايته الأولى «زمن البطل» أو «اللص والكلاب»، حسب التسمية الإسبانية.

وبرغم اهتمام يوسا بفكرة الالتزام في الأدب، سواءً في أصولها الماركسية أو في فلسفة جان بول سارتر، إلا أنه يصر على التفريق بين الأدب والسياسة، فالأدب، في نظره، ليست وسيلة لنقل الأفكار السياسية، «فإذا حاولت أن تستخدم الأدب وسيلة للدعاية السياسية ولنشر أفكار سياسية، فإنك تفشل كاتباً، عندما أكتب أدباً أركّز على ما هو أدب بالفعل، على شيء أكبر من السياسة، لا ينبغي أن يستخدم الأدب لنقل فكرة سياسية، لأن النتيجة ستكون تدمير الأدب».

هذه العلاقة المتداخلة : الأدب والواقع، الأيديولوجيا والسياسة والتاريخ وغيرها من القضايا التي أثارها يوسا في فصول من هذا الكتاب، كانت ترتبط بروايته الأولى «زمن البطل» أو «اللص والكلاب»، إذ كان عليه أن يعيد التفكير في ما هو واقعي وما هو روائي في تجربته الأولى، وهو توقف مهم وأساسي، كما سنلاحظ، لأنه من خلال هذه المراجعات استطاع أن يتجه نحو أدبية الرواية وفنيتها.

وفي فصل آخر يتحدث يوسا عن واحدة من أهم رواياته «البيت الأخضر»، ويكشف كيف ظلت هذه الرواية تعتمل في ذهنه لسنوات عديدة، إنها رواية عمر، كما سنرى، فقد ارتبطت فكرتها بمشهد غريب لذلك البيت الأخضر المتفرد، على الضفة الأخرى من النهر، بيت وسط كثبان من الرمال ظل محفوراً في ذاكرته منذ أن كان في التاسعة من عمره، وهي السنة الأولى التي ذهب فيها إلى بلده البيرو، بعد أ قضى طفولته الأولى في بوليفيا.

إنها السنة الأولى التي يتعرف بها الكاتب على وطنه، وهي السنة الأولى التي يكتشف فيها البحر، لقد رأى البحر لأول مرة في حياته، وظلت هذه السنة محفورة في ذاكرته، ومعها بقي «البيت الأخضر» صورة مهجورة في الذاكرة إلى أن امتلأت ناساً وتجارب وحكايات بعد ذلك بنحو عشرين عاماً، حيث كتب يوسا رواية «البيت الأخضر».

يذكر يوسا المعاناة القاسية التي كابدها في كتابة هذه الرواية، فقد كان يجمع معلومات عن الناس والطبيعة والمجتمع، وهو بصدد تكوين صورة ذلك البيت الأخضر الذي يطل على واجهتين للبلاد، الصحراء والساحل، وبعد أن ملأ دفاتر ومخطوطات تصلح لروايتين، قرّر أن يدمج هذه الوقائع في رواية واحدة، وقرّر أن يعيد ترتيب علاقة الرواية بالواقع.

وهنا يذكر يوسا أفكاراً مهمة حول هذه العلاقة، فبعد أن فرّق كثيراً من الصفحات التي شعر أنها مصنوعة، زائفة وفلكلورية، حاول الاقتراب من الحقيقة الواقعية، وأن يجعلها متطابقة مع الحقيقة الأدبية، ولكن هذا التطابق أمر صعب، كما سيكتشف : «أنا لا أقول إن الأدب شيء منفصل تماماً عن الواقع، ما أقوله هو أن الحقائق التي تصدر عن الأدب ليست هيأبداً التجارب التي يعايشها الكاتب أو القارئ بشكل شخصي، الأدب ليس نقلاً للتجربة الحية، معرفة حقيقية ومهمة عن الواقع تأتي من الأدب، لكن عبر أكاذيب، عبر تحوير للواقع، عبر تحويل للواقع بالخيال والكلمات».

وفي تقديمه لهذا الفصل الذي يعرض فيه يوسا لكتابة رواية «البيت الأخضر»، يقدم تشبيهاً ذا دلالة لعملية الكتابة الروائية : «إن كتابة الرواية، في نظره، طقس شبيه بعرض استربتيز، مثل الفتاة التي تحرر نفسها من ملابسها تحت أضواء الخشبة العارية من الخجل وتعرض مفاتنها السرية واحداً تلو الآخر، يعرّي الكاتب – أيضاً – ذاته الحميمة أمام جمهور رواياته، لكن هناك، بالطبع، اختلافات، فالذي يعرضه الروائي من ذاته ليست مفاتنه الساحرة مثل الفتاة، لكنه يكشف بدلاً منها الشياطين التي تسيطر عليه، حنينه أو ذنبه، وأحياناً استياءه، اختلاف آخر هو أنه في أثناء عرض الاستربتيز تكون الفتاة مرتدية ملابسها أولاً، ثم تتعرّى نهائياً، وفي حالة الرواية ينعكس المسار، ففي البداية يكون الكاتب عارياً، وفي النهاية مرتدياً ملابسه، فالتجارب الشخصية التي كانت المثير الأول لكتابة الرواية تتنكر في أشياء عملية الإبداع حتى أنه حينما تنتهي الرواية لا يستطيع أحد، بما في ذلك الكاتب نفسه غالباً، أن يسمع هذا القلب الأوتوبيوجرافي الذي لا يمكن تجنب دقاته في الأدب القصصي، وعليه فكتابة الرواية مثل الاستربتيز المقلوب وكل الروائيين عارضون متفردون».

إنه شرط صعب حقاً، شرط الكتابة الروائية الذي يقترب، في رأي يوسا، من مشهد التعرّي، إلا أنه شرط يحقق بقوة مقدار علاقة الروائي بالواقع، ويحقق – كذلك – مقدار وقوة التخفي الذي يمارسه الروائي لتقديم ذلك الواقع بصورة روائية.

لقد رأينا في الفصول التي عرضناها من الكتاب أن ثمة فصولاً أخرى وقضايا أخرى مهمة يتعرض لها يوسا، كيف قام يوسا بتعرية نصوصه الروائية من كل لباس أيديولوجي أو تاريخي أو سياسي، وكشف – أيضاً – وبطريقة نقدية صادقة، مدى الزيف الأيديولوجي الذي غلف كثيراً من أعماله، وهذا هو السبب الذي جعل مساره الروائي يتخذ اتجاهاً متصاعداً، فأعماله الروائية تمتلئ حركة وتفاعلاً، وكذلك فكره الأدبي والفلسفي والسياسي، إنه يتحدث عن تحولاته الفكرية والأدبية والسياسية، بكل صراحة وجلاء، وبكل صدق – أيضاً – وهذا ما يميز تجربته ويعطيها هذه القيمة التاريخية العظيمة.

يستطيع القارئ المهتم أن يكتشف الشبه الكبير وليس التطابق، بطبيعة الحال، بين تجربة ماريو بارجاس يوسا وبين تجارب كثير من الروائيين والأدباء العرب، الانتماءات السياسية والأيديولوجية المتماثلة، الانتقال من الوجودية إلى الماركسية، الانتماء الحزبي والسياسي، إلى آخره من المتشابه، إلا أن المختلف كثير ومهم وخطير، فلا أحد من أدبائنا العرب وضع تجربته تحت منظار النقد الذاتي، الفكري والإبداعي، السياسي والأيديولوجي، لا أحد ذكر تحولاته من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، لا أحد كشف شيئاً من أسرار أي بيت أخضر أو أحمر أو أصفر من البيوت التي بناها في رواياته، لا أحد أعاد التفكير في علاقة الرواية بالواقع!

ولنا قراءة أخرى متصلة لتجربة يوسا وأدبه وواقعه.

عصر بعد غدٍ الأربعاء في مقرّه بصنعاء..

فن الإلقاء في فعالية ينظمها نادي القصة (المقه)

● تواصلا لبرنامجه الثقافي الأسبوعي للفصل الثاني من العام الحالي ٢٠١١م ينظم نادي القصة اليمني (المقه) في الساعة الرابعة والنصف من عصر بعد غد الأربعاء بمقره في صنعاء فعالية ثقافية إبداعية تعنى بالتدريب على إلقاء النصوص السردية بصورة جديدة ومتميزة تتجاوز المألوف والتقليدي وتعطي النص المكتوب رونقا جديدا كما ترفع من مستوى أثره وتأثيره..

يشارك في هذه الفعالية عدد من كُتّاب وكاتبات القصة من بينهم: نبيلة الشيخ، نضال الإرياني، نجاة با حكيم، هشام محمد، انتصار السري، عفاف شملان.. والذين سيقدمون قراءات مختارة من أحدث إنتاجهم القصصي بأساليب جديدة ومبتكرة في فن الإلقاء

حصة خجولة لكتب الثقافة العامة في صناعة الكتاب العربية

■ الجزائر/

يسجل رئيس اتحاد الناشرين المصريين أنه لا توجد أرقام دقيقة حول حجم الاستثمار في النشر العربي ولكنه يرجح أن الرقم السنوي يصل الى خمسة مليارات دولار ليس لكتب الثقافة العامة فيها الا نحو ٤٠٠ مليون دولار نظرا لتوجيه الجانب الاكبر من هذا المبلغ الى الكتب المدرسية والمطبوعات الحكومية.

ويقول محمد رشاد ان العالم العربي «على اتساعه» ينشر سنويا ٣٠ ألف عنوان فقط ولا يزيد عدد كتاب الثقافة العامة من هذه الاصدارات على خمسة الاف عنوان.

وشارك رشاد ببحث عنوانه «العلاقة بين دار النشر والمكتبات العامة» في الملتقى الدولي الاول حول الادب والمكتبات والقراءة تحت عنوان «ما هي السبل المثلى لترقية القراءة العمومية؟» والذي شارك فيه خبراء في علوم المكتبات من الجزائر وتونس ولبنان وفرنسا والسنغال.

والملتقى هو أحد أنشطة المهرجان الثقافي الدولي الرابع للادب وكتاب الشباب الذي افتتح الاربعاء الماضي تحت شعار «حرر خيالك» ويشارك فيه ٣٠ كاتبا من ١٥ دولة عربية وأجنبية.

ويتضمن المهرجان الذي يستمر أسبوعا معرضا للكتاب تشارك فيه ٦٠ دار نشر جزائرية كما تشهد مدينتا قسنطينة وتلمسان الشماليتان جانبا من أنشطة المهرجان المتنوعة بين الامسيات الشعرية والقراءات الادبية والورش التدريبية على تقنيات الكتابة والرسم.

ويقول رشاد ان الناشر العربي «اضطر» الى تقليص عدد النسخ المطبوعة من كتب الثقافة العامة للكبار لتتراوح بين ١٠٠٠ و٢٠٠٠ نسخة من الكتاب الواحد وفي كتب الاطفال يتراوح عدد النسخ بين ثلاثة الاف وخمسة الاف نظرا لضيق حجم الاستهلاك الذي يفترض أن تمثل المكتبات جزءا أساسيا منه.

ويضيف أن المعايير الدولية تقول ان المكتبة العامة لكي تقوم بدور ثقافي يفترض أن يكون لكل ستة آلاف نسمة من المقيمين مكتبة عامة ولكن عدد المكتبات العامة «في الدول العربية مجتمعة لا يزيد على ٤٥٠٠ مكتبة من كافة الاحجام وربما كان عدد المكتبات العامة ذات الوزن والاهمية في الوطن العربي يدور حول ١٠٠٠ مكتبة فقط».

مذكرات.. خضراء الأبيض.. وأحلام النجمتين

بلقيس الكبسي

● خضنا التجربة عشناها وعايشناها وضاجعنا أحداثها.. رأينا بأم أعيننا كيف اضمحلت العقيدة في الأيدلوجيات، وتبع العبد سيده .. وكل امتطى جماعته.. وأصبح لكل جماعة منابرها الخاصة التي ترتديها تحت جلدها.. وشعارات تنتظر كباش فداء . باعونا وهمّ ثورة اشتريناها منهم بدمائنا.. تدثرنا بعريها وسفاف شعاراتها، وصاهرت أحلامنا أطماعهم، فغاصت مبادؤنا في غاياتهم، حتى التهم الخراب والدمار والخوف وطن الأمان، وأوشك أن يزف عروساً للموت.. لم تتراجع مطامعنا ومصالحنا وعقائدنا المزيفة أمام الدماء المدلقة.

تلبستنا الشياطين .. اختبأت في أجسادنا.. فلم نستطع ردعها .. أعمت أبصارنا وقادتنا إلى جمعة الموت؛ لنروي الوطن الظمآن بالدماء .. فهذه وسيلتهم التي ستوصلهم إلى غاياتهم المنتظرة، سكنت مقابر تئن بالموتى بين ضلوعنا.. يا للهول ..!! هل نحن من جعلنا الآلام تتناسل بخصوبة على أرضنا..؟ وهل حياتنا المغدورة تكومت في هتافين..؟ صباحاتنا تكررت .. تشابهت.. ومساءاتنا مستنسخة كما هي هتافات ثورتنا، ونحن نتقيأ مخلفات أدمغتنا، وما أوكل إلينا بتنفيذه باسم التغيير.. لطخنا عراقة ماضينا التليد، أصبحنا لا نقرأ إلا ما تمليه علينا معتقداتنا التي زرعوها فينا وسقوها بأهوائهم .. يا لعصر السرعة كيف لمعت خطاه وهي تطير في الأفق..!!

بدأت وريقات البيت الأبيض الخضراء تؤتي أكلها فتعالت أصواتنا بأننا سنصنع مستقبلا لا مثيل له، ولا نظير لإشراقه.. تباهينا به بخيلاء أمام تاريخ أجدادنا الذي افتقد احترامنا وأدبنا.. وأصبحت النجمتان ووريقاته الأبيض الخضراء هما المرشد والدليل.. وأصبحنا أكثر انتماء لهما من حضارات سبأ.. معين وتبع .. وكفرنا بحكمة ملكة آمن بها سليمان.

نجحنا في الاستبداد .. فمسخنا شعبنا الكادح .. وأوثقنا كاهله بالأسى.. فأمسى وأصبح يعاقر نشرات الأخبار بلا ملل أو كلل .. وصيرناه عبداً للفضائيات يبحث عن ماض منسي .. حاضر منتهك .. وأحداث ستصنع مستقبلا مجهولاً.

أصبحت شوارعنا الآمنة أفخاخا من الخيام .. ونحن مازلنا نحبو عبثاً في ساحاتنا، حتى احترقت أصابعنا، أوهمونا أن فوهات بنادقهم ستحمينا .. وستطلق علينا وروداً وأزهاراً .. ستنعم أنوفنا برائحتها.. سها عنا أن رائحة البارود لا تشبه العطر بتاتا .. استطعمنا أصوات منابرهم، وصخب خطبهم ووعظهم؛ التي شكلت وعيّنا المزيف، فألصقنا الشرائط السوداء على صور أحياء كثر وقرابين أموات وأسلمناها للموت.

تأخرنا عندما أوصلنا اليقين إلى أن للحرية والديمقراطية مذاقين حلوهما هناك حيث نتلقى تعليم ثورتنا .. ومرهما يتسكع على مذاقات أرواحنا.. فالفوضى التي انتشرت كعدوى امتدت إلينا باسم ثورة .

قطعنا حبلنا السري بأرضنا ووطننا بلا أدنى وفاء، ولم ترف أعين خيانتنا.. أما عواصف الغضب فقد ذرت رماد السخط في أعيننا .. يا له من غباء كيف استفحل بعقولنا .. دنست كلابهم أوعيتنا .. وولغت نجاستها فيها.. بينما تمرغت أنوفنا وأدمنت رائحة الوريقات الخضراء.. ووعود النجمتين .. وعندما مدت إلينا أيدي الوطن بورود السلام تقيأنا في سلالها، وتدحرجت وطنيتنا بعيداً كفلس لا قيمة له .. ما عساه يفعل أمام خضراء الأبيض .. لم يعد الوطن هو المهم.. مخالب العولمة أصبحت هي الأهم .. فتملكتنا سخرية القدر وهزلية خير الغريب سيدحض شر القريب .

لا ضير أن نحتضن الفاسدين والمردة وعباد الوريقات الخضراء وأعوان النجمتين، لأنهم قد أعلنوا توبتهم على أيدينا .. ولما لا .. فقد سبقهم إبليس وأعلنها قبلهم .. يا لثورتنا المجيدة لم تصفد الشياطين والمردة بل كانت سبب توبتهم ..!! إلا أنها ما فتئت تنهار على رؤوسنا كجبل ثلجي في يوم صيفي حار .

يا للعار الذي ألحقناه بأنفسنا لقد مسختنا الأزمات السياسية .. وأيدلوجيات الأحزاب.. والانقلابات .. والثورات المستنسخة، جعلتنا أبواق تنعق بما لا تفقه؛ حتى أزكمت رائحة الخيانة والغدر والعمالة أنوفنا، وفعلت بنا بلاد السكارى فعلها.. عاثت فينا فساداً ونحن من نحارب الفساد باسم ثورة . تكدست محافظنا بالأوراق المختلفة .. لكن محفظة ضمائرنا فاااارغة بلا رصيد.

أما المفارقة العجيبة فتكمن في فيروسات هذا العصر، فبينما تنهش فيروسات وجراثيم أجساد الغرب وتحتل أطعمتهم، تنهش فيروسات السياسة.. والطائفية.. والمذهبية .. والعنصرية .. والقبلية الهمجية أرواحنا الشرقية. لم نمت من غضب الطبيعة بل قتلتنا الحسرة والفرقة .. وحتى لو اختبأ الجبابرة والعابثون في أوكارهم، ستبقى لعناتهم تطارد الأبرياء وتلوث حياتهم .. هل قيمنا وعقائدنا عفى عليها الزمن أم نحن من عافها ..؟ أكان يجب علينا أن نتماسك ونتحد ..؟ لكننا عاجزون أمام سطوة تشتتنا الذي خذلنا وتركنا لبئس المصير.

يا ترى هل ستعيد بوصلتنا اتجاهاتنا التائهة..؟ هل سنعود من نقطة اللا عودة ..؟ هل سيستقيم صراط دربنا ..؟ وهل سيرحل الأشرار عن حياتنا ..؟ أم هم مكلفون بإثارتها..؟ هل نحن كأفلام الأكشن التي نحن مغرمون بمشاهدتها .. فلولا الأشرار لما كانت الأفلام مثيرة ومشوقة.. هكذا هو الشر رئة الدراما التي تتنفس بها.. وسرطان ينهش جسد طمأنينتنا وأمننا . هذا ما تقيأته أفعال العمالة .. أما ما خفي فيعلمه الله.. والراسخون في العلم .. أصحاب اللحى المسدلة .. والملونون كحرباء الشؤم.